

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ
الْثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ
فَأُمِّتُّهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

[البقرة: 126]

❁ مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

التناسب بين هذه الآية والتي قبلها واضح بيّن، فهما في سياق رفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قواعد البيت الحرام وتهيئته لعباد الله وتطهيره، فإنه لما "ذكر أمر البيت الشريف فيما تكفل به سبحانه، وفيما أمر به الخليل وولده عليهما السلام من تطهيره؛ ذكر باهتمامه بأهله ودعائه لهم مُبَكِّتاً لمن عَقَّه من ذُرِّيَّته بالتصريح بكفرهم بيوم الجزاء، الأمر بكل خير الزاجر عن كلّ ضير"⁽¹⁾.

وجاءت هذه الآية: "لِإِفَادَةِ مَنْقِبَةِ ثَالِثَةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي اسْتِجَابَةِ دَعْوَتِهِ بِفَضْلِ مَكَّةَ وَالنُّعْمَةِ عَلَى سَاكِنِيهَا؛ إِذَا شَكَرُوا، وَتَنْبِيهِ ثَالِثِ مُشْرِكِي مَكَّةَ يَوْمَئِذٍ: لِيَتَذَكَّرُوا دَعْوَةَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ الْمُشْعِرَةَ بِجَرِّصِهِ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ حَتَّى خَصَّ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بِدَعْوَتِهِ الْمُؤْمِنِينَ"⁽²⁾.

ومما يُذكر في المناسبة أنّ الآيات التي سبق ذكرها في الحديث عن البيت الحرام، وخصائصه من كونه مثابة للنّاس وأمناً، وفيه مقام إبراهيم، كل ذلك يجعل القارئ يسأل كيف كان حال هذه البقعة الطاهرة من ناحية الأمن والرزق والعبادة؟، فجاءت هذه الآية بمنزلة الجواب عن هذا السؤال من خلال دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام.

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

- (1) ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، أصل حروفه (قول)، وسبق شرحه في الآية السابقة.
- (2) ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾: اسم عَلَمٍ لأعجميٍّ لخليل الرحمن عليه السلام، وسبق شرحه قريباً في الآية (124).

(1) البقاعي، نظم الدرر: 2/155.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/713.

(3) ﴿رَبِّ﴾: اسم مُضَعَّفٌ ثلاثي (رَبّ)، الجذر اللغويُّ منه (رب)، وسبق شرحه في الآية السابقة.

(4) ﴿أَجْعَلْ﴾: فعل أمر، وجذره اللغويُّ (جعل)، والمراد في الآية: تصيير الشيء بالقول، وسبق شرحه في الآية السابقة.

(5) ﴿بَلَدًا﴾: اسم ثلاثي، جذره اللغوي (بلد)، والأصل في معناه "يَتَقَارَبُ فُرُوعُهُ عِنْدَ النَّظَرِ فِي قِيَاسِهِ، وَالْأَصْلُ الصَّدْرُ... وَالْبَلَدُ صَدْرُ الْقَرْيِ"⁽¹⁾.

وهو "كلُّ موضع متخيِّز من الأرض عامر أو غامر تحيِّزه، كأنَّ عليه حاجزاً يحبس، وأصل البلد المسكون مساحة خالية متميِّزة تُتَّخَذُ للإقامة، والإقامة احتباس"⁽²⁾.

والبلد "المكان المحيط المحدود المتأثر باجتماع قُطَّانه وإقامتهم فيه، وجمعه: بِلَاد وبُلْدَان"⁽³⁾ "وسمِّي البلد بلدًا لتأثره بسكَّانه واجتماع قُطَّانه وإقامتهم فيه، والبلد هو المكان المحدود، وغالبًا يكون مسوَّراً، وقد لا يكون"⁽⁴⁾.

والبلد المعنوي في الآية: هو مكة المكرمة، وفيه "إِشَارَةٌ إِلَى الْوَادِي الَّذِي دَعَا لِأَهْلِهِ حِينَ أَسْكَنَهُمْ فِيهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ"⁽⁵⁾.

(6) ﴿ءَامِنًا﴾: اسم فاعل من أَمِنَ يأمنُ، وجذره من الهمزة والميم والنون، وهي تدلُّ على سكون القلب وتصديقه⁽⁶⁾.

وأصل الأَمْنِ طمأنينة النفس وزوال الخوف⁽⁷⁾ وفعله: أَمِنَ.

ووصفت مكة بالأمن؛ لأنها كانت في الجاهلية معاذًا لمن استعاذ بها، وكان الرجل منهم لو لقي بها قاتل أبيه أو أخيه؛ لم يهجه، ولم يعرض له حتَّى يخرج منها⁽⁸⁾.

(7) ﴿وَأَرْزُقْ﴾: فعل أمر، الماضي منه (رزق)، وجذره اللغوي (رزق)، والأصل في معناه

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بلد).

(2) جبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (بلد).

(3) الراغب، المفردات: (بلد).

(4) السمين الحلي، عمدة الحفاظ: (بلد).

(5) أبو حيان، البحر المحيط: 1/612.

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمن).

(7) الراغب، المفردات: (أمن).

(8) ابن جرير، جامع البيان: 2/29.

”عَطَاءٌ لَوْفَتْ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ غَيْرُ الْمَوْفُوتِ، فَالرِّزْقُ: عَطَاءُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَيُقَالُ: رَزَقَهُ اللَّهُ رَزَقًا“⁽¹⁾.

”الرِّزْقُ: يُقَالُ: لِلْعَطَاءِ الْجَارِي تَارَةً، دَنِيوِيًّا كَانَ أَمْ آخِرُوِيًّا، وَلِلنَّصِيبِ تَارَةً، وَلَمَّا يَصِلْ إِلَى الْجَوْفِ وَيَتَغَذَّى بِهِ تَارَةً“⁽²⁾.

و”يجوز أن يراد به ما يتغذى به كالحب ونحوه، وأن يراد ما ينتفع به من مأكول وملبوس ونحوهما“⁽³⁾، وهو أيضًا ”ما يدخل الجوف من طعام ونحوه باسترسال، أي: دائمًا كالرزق، وهو دائم“⁽⁴⁾.

ومعنى رزق ”أَهْلَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ مِنَ الثَّمَرَاتِ ظَاهِرٌ مَعْرُوفٌ بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْإِخْتِبَارِ الْمُصَدِّقِينَ ... فَالْثَّمَرَاتُ تَجْبَى، وَتُجْمَعُ مِنْ حَيْثُ تَكُونُ، وَتُسَاقُ إِلَى مَكَّةَ“⁽⁵⁾.

(8) ﴿أَهْلَهُ﴾: اسم ثلاثي مجرّد، جذره اللغوي (أهل)، وهو اسم جمع، لا واحد له من لفظه، بل من معناه، كرجل وامرأة، وله أصلان: أحدهما ”أهل الرجل أخصّ الناس به، وأهل البيت: سكانه، وأهل الإسلام: من يدين به“⁽⁶⁾.
وأهل الرجل: ”من يجمعه وإياهم نَسَبٌ أَوْ دِينٌ، أَوْ مَا يَجْرِي مجراهما من صناعة وبيت وبلد“⁽⁷⁾؛ وذلك بحسب ما تضاف إليها وبحسب العلاقة.

(9) ﴿الْثَّمَرَاتِ﴾: جمع مؤنث بالآلف والتاء، جذره اللغوي (ثمر)، وأصل معناه: ”شَيْءٌ يَتَوَلَّدُ عَنْ شَيْءٍ مُتَجَمِّعًا، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ اسْتِعَارَةً“⁽⁸⁾، والثمر: ”حَمْلُ الشَّجَرِ، وَيَقَعُ عَلَى كُلِّ الثَّمَارِ، وَغَلَبَ عَلَى ثَمَرِ النَّخْلِ ...، وَمَا يَنْعَقِدُ عَلَى أَطْرَافِ الشَّجَرِ مِنْ حَمَلِهِ إِذَا بَلَغَ يَنْعَعُهُ: كَالْبَلَحِ وَاللَّوِيَاءِ وَغَيْرِهَا مِنْ ثَمَرِ الشَّجَرِ“⁽⁹⁾.

ومعنى الثمرات في الآية: ”جمع ثمرة، وهو حمل الشجرة من أي نوع كان“⁽¹⁰⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رزق).

(2) الراغب، المفردات: (رزق).

(3) السمين، عمدة الحفاظ: (رزق).

(4) جبل، للعجم الاشتقاقى للؤصل: (رزق).

(5) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/381.

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أهل).

(7) الراغب، المفردات: (أهل).

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ثمر).

(9) جبل، للعجم الاشتقاقى للؤصل: (ثمر).

(10) الواحدي، التفسير البسيط: 3/312.

(10) ﴿الْآخِرِ﴾: اسم على زنة فاعل (آخر) ثم صارت الهمزتان مدة، وهو للتفضيل، جذره اللغوي (آخر)، والأصل في معناه "خِلَافُ التَّقَدُّمِ، وَهَذَا قِيَاسٌ أَخَذْنَاهُ عَنِ الْخَلِيلِ، فَإِنَّهُ قَالَ: الْآخِرُ نَقِيضُ الْمَتَقَدِّمِ، وَالْآخِرُ نَقِيضُ الْقُدِّمِ، تَقُولُ: مَضَى قُدِّمًا وَتَأَخَّرَ أُخْرًا"⁽¹⁾، "وَالْآخِرُ: بَعْدَ الْأَوَّلِ، وَهُوَ صِفَةٌ، تَقُولُ: جَاءَ آخِرًا، أَي: آخِرًا، وَتَقْدِيرُهُ: فَاعِلٌ"⁽²⁾.

ومعناه "يقابل به الأول، وآخر يقابل به الواحد، ويعبر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية، كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى"⁽³⁾.
والآخر صفة تغلب على يوم القيامة أو الدار الآخرة⁽⁴⁾، وهذا اليوم "هو يوم الجزاء؛ إمّا إلى الجنة، وإمّا إلى النار"⁽⁵⁾.

(11) ﴿فَأَمْتَعُهُ﴾: فعل مضارع، الماضي منه (مَتَّعَ)، مزيد بالتضعيف، جذره اللغوي (متع)، والأصل في معناه "مَنْفَعَةٌ وَأَمْتِدَادُ مُدَّةٍ فِي خَيْرٍ، مِنْهُ اسْتَمْتَعْتُ بِالشَّيْءِ، وَالْمَتَّعَةُ وَالْمَتَاعُ: الْمَنْفَعَةُ"⁽⁶⁾.

"وهذا الفعل المضعّف ومضارعه هما في القرآن بهذا المعنى: البقاء زمنًا ممتدًا، أي: حسب المعاد في حياة البشر"⁽⁷⁾.

"وَالْمَتَاعُ: انْتِفَاعٌ مَمْتَدُّ الْوَقْتِ، يُقَالُ: مَتَّعَهُ اللَّهُ بِكَذَا، وَأَمْتَعُهُ، وَتَمَتَّعَ بِهِ ... وَكُلُّ مَوْضِعٍ ذَكَرَ فِيهِ تَمَتَّعُوا فِي الدُّنْيَا؛ فَعَلَى طَرِيقِ التَّهْدِيدِ، وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى التَّوَسُّعِ"⁽⁸⁾.
ومعنى الفعل في الآية: أمتّعه جميع نعم الدنيا، "ولكلّ نعمة متعة؛ فالطعام له متعة، والشراب له متعة، والجنس له متعة، ... إِذَا التَّمَتَّعَ فِي الدُّنْيَا بِأَشْيَاءٍ مُتَعَدِّدَةٍ"⁽⁹⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (آخر).

(2) الجوهري، الصحاح: (آخر).

(3) الراغب، المفردات: (آخر).

(4) جبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (آخر).

(5) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 6/579.

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (متع).

(7) جبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (متع).

(8) الراغب، المفردات: (متع).

(9) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 1/583.

(12) ﴿قَلِيلًا﴾: اسم على وزن (فَعِيل)، الجذر اللغوي له (قلل)، وله أصلان في معناه: أولاهما: "يَدُلُّ أَحَدَهُمَا عَلَى نَزَارَةِ الشَّيْءِ، وَالْآخَرُ عَلَى خِلَافِ الْإِسْتِقْرَارِ" (1)؛ والمقصود هنا الأول.

و"القِلَّةُ والكثرة يستعملان في الأعداد، كما أَنَّ العظم والصَّغر يستعملان في الأجسام، ثُمَّ يستعار كُلُّ واحد من الكثرة والعظم، ومن القِلَّة والصَّغر للآخر" (2)، ومعنى القليل في (أَمْتَعَهُ): فهو يكون نظرًا إلى نعيم الآخرة وزمانها ودوامها؛ فهو قليل (3).

(13) ﴿أَضْطَرُّهُ﴾: فعل مضارع، ماضيه اضْطَرَّ، وهو مزيدٌ وزنه (افتعل)، والجذر اللغوي له (ضرر)، وله "ثَلَاثَةُ أَصُولٍ: الْأَوَّلُ: خِلَافُ النَّفْعِ، وَالثَّانِي: اجْتِمَاعُ الشَّيْءِ، وَالثَّلَاثُ: الْقُوَّةُ" (4).

و"الضَّرُّ: سُوءُ الْحَالِ، إِمَّا فِي نَفْسِهِ؛ لِقِلَّةِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالْعِفَّةِ، وَإِمَّا فِي بَدَنِهِ؛ لِعَدَمِ جَارِحَةٍ وَنَقْصٍ" (5).

واضْطَرَّ: "أَيُّ: أَلْجَى، افْتِعَالٌ مِنَ الضَّرِّ، فَقُلِبَتِ التَّاءُ طَاءً لَوْقُوعِهَا بَعْدَ حَرْفِ الْإِطْبَاقِ وَقِيلَ: هُوَ حَمَلَ الْإِنْسَانَ عَلَى مَا يَضُرُّهُ، وَقِيلَ هُوَ - فِي الْعُرْفِ -: الْحَمْلُ عَلَى مَا يُكْرَهُ" (6). ومعنى الاضطرار في الآية: "الْإِلْتِجَاءُ، وَهُوَ بِوَزْنِ افْتَعَلَ، مُطَاوِعٌ أَضَرَّهُ إِذَا: صَيَّرَهُ ذَا ضَرُورَةٍ، أَيُّ: حَاجَةٍ ... يُقَالُ: اضْطَرَّ إِلَى كَذَا أَيُّ: أَلْجَأَهُ إِلَيْهِ" (7).

(14) ﴿عَذَابٍ﴾: اسم ثلاثي، جذره اللغوي (عذب)، وهو في الأصل من التعذيب، وهو الضرب (8).

وهو أيضاً "حمل الإنسان أن يُعَذَّبَ، أَي: يجوع ويسهر، وقيل: أصله من العَذْبِ، فَعَذَّبْتُهُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قلل).

(2) الراغب، المفردات: (قلل).

(3) الراغب، تفسير الراغب: 1/313.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضرر).

(5) الراغب، المفردات: (ضرر).

(6) السمين، عمدة الحفاظ: (ضرر).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/717.

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عذب).

أي: أزلت عَذَبَ حياته على بناء مَرَضَتِهِ، وقَدَّيْتَهُ“(1)، ”وَالْعَذَابُ: هو الإيْجَاع الشَّدِيد، وقد عَذَّبَهُ تَعْذِيباً: أَكْثَرَ حَبْسِهِ فِي الْعَذَابِ“(2).

وهو ”الإيْجَاع الشَّدِيد، وأصله من المنع، وسمَّيت العقوبة والإيْلام عذاباً باعتبار منعها من معاودة ما عوقب عليه، ومنه الماء العذب؛ لَأَنَّهُ يُعَذَّبُ الْعَطَشُ“(3).

وأكثر الوارد في القرآن الكريم مقصود منه العذاب الأخروي، وهو كذلك في هذه الآية.
 (15) ﴿التَّارِ﴾: اسم ثلاثي، الجذر اللغوي (نور)، فألفُها منقلبة عن واو؛ ولذا تصغَّر على نيرة(4).

والأصل في معناه ”إِضَاءَةٌ وَاضْطِرَابٌ وَقِلَّةٌ تَبَاتٍ، مِنْهُ النُّورُ وَالنَّارُ، سُمِّيَا بِذَلِكَ مِنْ طَرِيقَةِ الْإِضَاءَةِ، وَلِأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ مُضْطَرِباً سَرِيعَ الْحَرَكَةِ“(5).

”وَالنَّارُ تَقَالُ: لِلْهَيْبِ الَّذِي يَبْدُو لِلْحَاسَّةِ ... وَلِلْحَرَارَةِ الْمَجْرَدَةِ، وَلِنَارِ جَهَنَّمَ“(6) والمقصود من النار في الآية: جهنم التي ذكرت كثيراً في القرآن الكريم.

(16) ﴿وَبِئْسَ﴾: فعل ماضٍ جامد، جذره اللغوي (بأس)، و”البأس والبؤس والبأساء كلها الشدة والمكروه“(7)، ”وَبِئْسَ كَلِمَةً تَسْتَعْمَلُ فِي جَمِيعِ الْمَذَامِّ“(8).

وكلمة بئس ”ضِدُّ نِعَمٍ، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى الشَّقَاءِ وَالْفَرَاغِ مِنَ الْخَيْرِ، كَمَا أَنَّ نَعْمَ ضِدُّ ذَلِكَ“(9).

والمعنى في الآية ذمُّ الصَّيرورة التي سيصير إليها؛ لَأَنَّهَا جَهَنَّمُ(10).

(17) ﴿الْمَصِيرُ﴾: اسم مكان زنة مَفْعِل، جذره اللغوي (صير)، والأصل في معناه ”الْمَالُ

(1) الراغب، المفردات: (عذب).

(2) الراغب، المفردات: (عذب).

(3) السمين، عمدة الحفاظ: (عذب).

(4) السمين، عمدة الحفاظ: (نور).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نور).

(6) الراغب، المفردات: (نور).

(7) السمين، عمدة الحفاظ: (بأس).

(8) الراغب، المفردات: (بؤس).

(9) جبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (بأس).

(10) السمين، الدرر للصون: 3/469.

وَالْمَرْجُعُ مِنْ ذَلِكَ صَارَ يَصِيرُ صَيِّراً وَصَيَّرُورَةً، وَيُقَالُ: أَنَا عَلَى صِيرٍ أَمْرٍ، أَيُّ: إِشْرَافٍ مِنْ قَضَائِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي يُصَارُ إِلَيْهِ⁽¹⁾.

وصار والتصيير الانتقال من حال إلى حال⁽²⁾.

”وصار إلى كذا: انتهى إليه، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: 3]؛ كقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: 42]“⁽³⁾.

”وكل ما في القرآن من التركيب ... هو كلمة (مصير) بمعنى: مآل ومنتهى“⁽⁴⁾، ومعنى المصير في الآية: ”فإنه“ مفعِل“ من قول القائل: صرت مصيراً صالحاً، وهو الموضع الذي يصير إليه الكافر بالله من عذاب النار“⁽⁵⁾.

✽ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

واذكر أيها النبي ﷺ حين قال إبراهيم داعياً: رَبِّ اجْعَلْ مَكَّةَ بِلَدًا آمِنًا مِنَ الْخَوْفِ، يَأْمَنُ فِيهِ كُلُّ مَنْ يَأْوِي إِلَيْهِ، وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الثَّمَرَاتِ كَالْحُبُوبِ وَسَائِرِ الْفَوَاكِهِ، وَخُصَّ بِهَذَا الرِّزْقِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، قَالَ اللَّهُ: وَمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ فَأَرْزُقْهُ - أَيْضاً - فِي الدُّنْيَا وَأَمْتَعَهُ مَتَاعًا وَزَمِنًا قَلِيلًا، ثُمَّ أَلْجَأْهُ مَرْغَمًا إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ، وَبُئْسَ الْمَرْجِعُ وَالْمَقَامُ هَذَا الْمَصِيرُ⁽⁶⁾.

✽ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

نكتة الدعاء بعنوان الربوبية:

جاء الدعاء بعنوان الربوبية في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾؛ لأنَّ في ذلك اعترافاً صريحاً بأنَّ المطلوب لا يقوم به إلا من اتَّصف بهذه الصِّفة، و(ربِّ) على تقدير: (يا ربِّي)، فهو ”منادى مضاف منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم

لطف الدعاء
دليل فقه
الداعي، وحسن
توكُّله

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صير).

(2) الراغب، المفردات: (صير).

(3) السمين، عمدة الحفاظ: (صير).

(4) جبل، للعجم الاشتقاقى للوصل: (صير).

(5) ابن جرير، جامع البيان: 2/56.

(6) ابن عجيبة، البحر اللدي: 1/164، ونخبة من العلماء، التفسير اليسر، ص: 19.

المحذوفة تخفيفاً⁽¹⁾، "وَنَادَاهُ بِلَفْظٍ مُّضَافًا إِلَيْهِ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَلَطُّفِ السُّؤَالِ وَالنَّدَاءِ بِالْوَصْفِ الدَّالِّ عَلَى قَبُولِ السَّائِلِ وَإِجَابَةِ ضَرَاغَتِهِ"⁽²⁾.

توجيه المُنشأه اللَّفْظِي:

سِرُّ التَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ فِي لَفْظِ الْبَلَدِ:

الدُّعَاءُ
يشمل إنشاء
البلد الآمن،
والاستمرار
الآمن

جاء لفظُ البلد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ مُنْكَرًا، وهو مفعولٌ ثانٍ لفعلِ النَّدَاءِ: ﴿اجْعَلْ﴾، بينما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: 35] معرَّفًا، ليكون تابعًا كما هي العادة عند النحويين في أنَّ المعرف بـ(أل) بعد اسم الإشارة يقع تابعًا عطف بيان على رأي الخليل أو نعتًا على رأي سيبويه⁽³⁾، والفرق بين التَّنْكِيرِ والتَّعْرِيفِ، أنَّ التَّنْكِيرَ يُشير إلى أنَّ البيت الحرام لم يكن بلدًا بعد عند الدُّعَاءِ، فدعا إبراهيم ﷺ أن يكون البيت الحرام بلدًا؛ فاستجيبَ له، وآية إبراهيم تُشير إلى أنَّ الدُّعَاءَ قد تحقَّق وأصبح البيت الحرام بلدًا، والفرق بين الدُّعَاءَيْنِ، أنَّ الدُّعَاءَ بصيغة التَّنْكِيرِ لإنشاء البلد، وأمَّا الدُّعَاءُ بصيغة التَّعْرِيفِ فهو دعاءٌ بأن يبقى البلد آمنًا⁽⁴⁾.

سِرُّ انتقاء مفردة الأمن:

الأمنُ صفةٌ
راسخةٌ في قيام
الحضارات
واستمرارها

وبناءً على ما ورد في النُّكْتَةِ السَّابِقَةِ؛ فقوله تعالى: ﴿ءَامِنًا﴾ في آية البقرة صفة، فهو لم يدعُ بإنشاء البلد فحسب، بل بإنشاء بلد آمن، وفي آية إبراهيم مفعولٌ ثانٍ، وهو ما يدلُّ على الاستمرارية، وفي هذا الدُّعَاءُ دليلٌ على رحمة إبراهيم بالعالَمين، وأنَّ الدُّعَاءَ كان بما يُصلِحُ النَّاسَ في أمور دينهم، بالتَّوجُّه للبيت، والمحافظة عليه،

(1) مجموعة من الأساتذة، إعراب القرآن الكريم: 1/102.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 1/612.

(3) سيبويه، الكتاب: 2/86.

(4) الإسكافي، درة التنزيل: 1/282-283.

وأُمُور دُنْيَاهُمْ، بِالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ؛ "فَإِنَّ أَمْنَ الْبِلَادِ وَالسُّبُلِ، يَسْتَتَبِعُ جَمِيعَ خِصَالِ سَعَادَةِ الْحَيَاةِ، وَيَقْتَضِي الْعَدْلَ وَالْعِزَّةَ وَالرَّخَاءَ؛ إِذْ لَا أَمْنَ بِدُونِهَا، وَهُوَ يَسْتَتَبِعُ التَّعْمِيرَ وَالْإِقْبَالَ عَلَى مَا يَنْفَعُ"⁽¹⁾ فاختلال الأمن اختلال لمقومات العيش فيه.

التَّأْوِيلُ المجازيُّ في قوله: ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾:

الأمن في قوله تعالى: ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ وصفٌ للبلد، ووزنه (فاعل)، والبلد لا يكون فاعلاً، بل هو مفعول، ففيه عدول من اسم الفاعل إلى اسم المفعول، أي: بلد مأمون⁽²⁾ على نهج قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: 21]، وكونه بلداً مأموناً من دواعي العيش فيها⁽³⁾، والبلد مكوّن من الأشجار والأحجار وسواهما، فهو تعبيرٌ مجازيٌّ على "أَنْ يَكُونَ المراد أهل البلد، كقوله: ﴿وَسَعَلَ الْقَرْيَةَ﴾ [نوشف: 82] أَي: أَهْلَهَا، وَهُوَ مَجَاز؛ لِأَنَّ الْأَمْنَ وَالْخَوْفَ، لَا يَلْحَقَانِ الْبَلَدَ"⁽⁴⁾، "وَأَمَّا عَلَى إِرَادَةِ آمِنًا أَهْلُهُ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ لِمَلَابَسَةِ الْمَكَانِ"⁽⁵⁾.

وصفُ البلدِ
بالأمن يجعله
مُتَمَكِّنًا فِيهِ،
ومحيطًا به

سِرُّ تقديم الأمن وتأخيرهِ:

تقدّم ذكرُ الأمنِ على ذكرِ الرِّزْقِ؛ فقوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ اللَّحْمِ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿أَجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾، بيّنما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 4] قدّم ذكرُ الإطعامِ على ذكرِ الأمنِ.

تقديمُ الأمنِ
وتأخيرُهُ بناءً
على أصلِهِ بلاغةٌ
تكشف تاريخَ
مكة

وجواب ذلك أن آية البقرة كان الدعاء فيها قبل إنشاء البلد، فإيجاد البلد سابق لوجود الناس فيه، فالتّرتيب على أصله، وآية قريش إخبارٌ عمّا تحقّق، والنّاسُ تقع عليهم منّة الإطعام قبل منّة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/715.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 4/59.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب: 4/59.

(4) الرازي، مفاتيح الغيب: 4/59.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/715.

الأمان، فالطعام أشدُّ ضرورةً من الأمن، فالتقديم على أصله، وكلُّ آيةٍ جاء فيها التقديم بحسب المقام، وهو ما يُناسبُ بلاغةَ القرآن.

دلالة الألف واللام في الثمرات:

الواقع يوافق
الدعاء في
الاستغراق
الحقيقي

الألف واللام في الثمرات في قوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ﴾ للاستغراق، "وَهُوَ اسْتِغْرَاقٌ عُرْفِيٌّ، أَي: مِنْ جَمِيعِ الثَّمَرَاتِ الْمَعْرُوفَةِ لِلنَّاسِ، وَدَلِيلُ كَوْنِهِ تَعْرِيفَ الْاسْتِغْرَاقِ مَجِيءُ (مِنْ) الَّتِي لِلتَّبْعِيضِ، وَفِي هَذَا دُعَاءٌ لَهُمْ بِالرِّفَاهِيَةِ حَتَّى لَا تَطْمَحَ نَفُوسُهُمْ لِلِارْتِحَالِ عَنْهُ"⁽¹⁾، وهو من مقومات الحياة والبقاء⁽²⁾، فوجود الرزق والثمرات مؤذنٌ بوجود الحياة واستمرارها، وفي هذا الزمن وجدنا أَنَّ الثمرات بالاستغراق الحقيقي وجدت في البلد الحرام، وهو يدلُّ على أَنَّ الدعاء كان حقيقةً في جميع الثمرات المعروفة والمجهولة.

فن الاحتراس:

رزق الكافر في
الدنيا يغره،
والترهيب من
شأنه أن يردعه

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ بعد أن ذكر الحق تبارك وتعالى أنه سيرزق "الْكَافِرَ أَيْضًا قَلِيلًا إِلَى مُنْتَهَى أَجَلِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَ الرِّزْقَ لِلْخَلْقِ كَافَّةً مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ"⁽³⁾، بين أنه سيدفعه إلى جهنم، وبئس المصير، "وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ احْتِرَاسٌ مِنْ أَنْ يَغْتَرَّ الْكَافِرُ، بِأَنْ تَحْوِيلَهُ النِّعَمَ فِي الدُّنْيَا، يُؤْذِنُ بِرِضَى اللَّهِ؛ فَلِذَلِكَ ذَكَرَ الْعَذَابَ"⁽⁴⁾، فلا يغترّ بمتاع الدنيا، فإن مصيره النار.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/715.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 1/582.

(3) البغوي، معالم التنزيل: 1/149.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/717.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 2، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 8-53-798-9948-978

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

مج. 2: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

التقييم الدولي: 8-53-798-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»